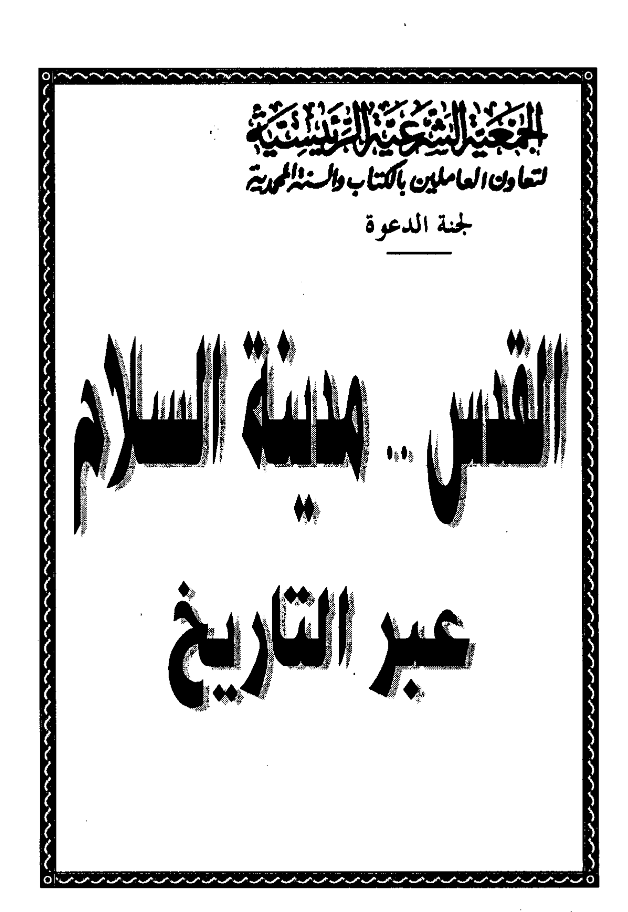

الجمعية الشرعية الرئيسية
لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية
لجنة الدعوة
القدس .. مدينة السلام
عبر التاريخ

مقدمة

أثارت المصادمات العنيفة التى وقعت فى الأرض المحتلة ـ على إثر إقدام أريل شارون سفاح صبرا وشاتيلا وزير الدفاع الإسرائيلى السابق ، وزعيم حزب الليكود يدعمه ثلاثة آلاف من جنود جيش الدفاع الإسرائيلى على اقتحام المسجد الأقصى ـ مشاعر الغضب والثورة فى قلب ونفس كل مسلم وعربى .

وهكذا اندلعت الثورة فى الضفة الغربية وقطاع غزة .. بل وفى داخل حدود دولة الكيان الصهيونى أيضًا من العرب الذين أجبروهم غداة الاحتلال عام ١٩٤٨ م على التجنس بالجنسية الإسرائيلية ممن يسمونهم بعرب ١٩٤٨ ، وراح أبناء الشعب الفلسطينى العرب المسلمون والمسيحيون يدافعون عن مقدساتهم الإسلامية ويذودون عن المسجد الأقصى الذى تعمد اليهودى شارون أن يدنسه بأقدامه فى شهر رجب المبارك ، بل وفى ذكرى الإسراء والمعراج ،

واصطف أبناء الأرض المحتلة يدافعون عن المسجد الأقصى بكل ما يملكون بأرواحهم ودمائهم ليس معهم سوى الحجارة ، وهم يواجهون بصدورهم العارية رصاص قوات الاحتلال ، وقد أغضبت هذه الهبة والوقفة الشامخة رئيس الوزراء الإسرائيلى ورجاله ، فراحوا يدكون الأرض المحتلة ويقصفون شعبها بطائرات الـ(إف ١٥) والـ(إف ١٦) وبالدبابات وغيرها من أحدث أنواع الأسلحة وأكثرها فتكًا ، حتى وصل الحال إلى استخدام رصاص دمدم المحظور دوليًا ، وقد أثارت هذه الحادثة مشاعر المسلمين فى كل مكان فخرجت المظاهرات فى كل العواصم العربية والإسلامية تندد بالعدوان الإسرائيلى الغاشم على أبناء الشعب الفلسطينى المسلم وبالاعتداء على المقدسات الإسلامية ، وتطالب حكومات الدول العربية والإسلامية باتخاذ مواقف جادة وحازمة تجاه هذا الاعتداء ، والتدخل لحماية هذه المقدسات ، وقد طالت المظاهرات كل الفئات من طلبة الجامعات ، وتلاميذ المدارس الابتدائية والإعدادية ، ونقابيين وفنانين ، كما خرجت المظاهرات لأول

مرة منذ زمن بعيد إلى الشوارع فى المدن الرئيسية بعد أن كانت فى الماضى محصورة داخل أسوار الجامعات .

وعلى إثر هذه الانتفاضة الإسلامية الشاملة وإزاء الإحساس بالخطر الداهم اضطرت الحكومات العربية لاتخاذ الموقف الملائم، وهكذا التأمت القمة العربية الشاملة يومى ٢١ ، ٢٢ أكتوبر الماضى ، وأخذت عددًا من القرارات المهمة ، كان على رأسها إطلاق المقاومة الفلسطينية فى مقاومة المحتل الغاصب ، والإعلان عن دعم انتفاضة الأقصى بكل السبل ، وإنشاء صندوقين أحدهما لدعم الانتفاضة ، والثانى باسم القدس للحفاظ على المقدسات .

وعلى الرغم من إجهاض الدعوة للجهاد ضد اليهود ، عبر مؤتمرى شرم الشيخ والقمة العربية ، فإن الأمور تبدو بسبيلها إلى التطور فى اتجاه المواجهة العسكرية الشاملة أو إلى تجميد وقطع العلاقات على أحسن الأحوال .

وبالرغم أنه لم يحدث يومًا أن نسى المسلمون والعرب فلسطين أو القدس التى بقيت فى عقولهم وقلوبهم طوال الخمسين عامًا منذ قيام الكيان الصهيونى ،

فإن الأحداث الأخيرة أججت فى نفوسهم مشاعر الغضب ، وأيقظت الأمة من سباتها ، وعادت من جديد دعوات الجهاد والحرب لتحرير القدس ، وامتلأت البيوت والمساجد وحلقات الدرس فى كل مكان بالحديث عن القدس وتاريخها وفتحها على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ثم عن الغزوة الصهيونية وضرورة بل وحتمية تحريرها من دنس اليهود وردها إلى حوزة المسلمين من جديد ، ومدى قداستها فى العقيدة الإسلامية باعتبارها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى النبى الكريم (صلى الله عليه وسلم) .



وفى هذا الإطار يجىء هذا التقرير حول «القدس» المدينة المقدسة ، وينقسم إلى :

أولاً : تعريف بمدينة القدس : معالمها ونعوتها ومكانتها الإسلامية

ثانيًا : تاريخ القدس منذ زمن إبراهيم الخليل وحتى الفتح الإسلامى

ثالثًا : تاريخ مدينة القدس منذ الفتح الإسلامى وحتى الهجمة الاستعمارية

رابعًا : الهجمـة الاستعمـاريـة الصهيونيـة على فلسطين والقدس

أولاً تعريف بمدينة القدس
معالمها ، ونعوتها ، ومكانتها الإسلامية

يبدو من المهم جدًا فى هذا الإطار أن نستهل الحديث عن المدينة المقدسة بالتعريف بها وبأهم معالمها وأوصافها ، ثم مكانتها الدينية فى العقيدة الإسلامية ، ثم ننتقل بعد ذلك إلى عرض تاريخها الطويل .

وبداية نؤكد أنه منذ أقدم عصور التاريخ تتمتع مدينة القدس بمركز دينى بارز ، ففى أرجاء هذه المدينة أرسل اللّٰه (تعالى) عددًا كبيرًا من رسله وأنبيائه لينشروا دينه فى أرجاء المعمورة ، فهى أرض اللّٰه المقدسة ومهبط الوحى على أنبيائه ، وقد توافد عليها عبر الزمن قادة وفاتحون كثيرون ، وسكنتها شعوب كثيرة إلى أن استقر أمرها فى يد المسلمين آمنة مطمئنة فى ظل الإسلام حوالى ثلاثة عشر قرنًا من الزمان .

وتنقسم مدينة القدس إلى قسمين هما : القدس القديمة ، وهى التى يحيط بها السور الكبير وفيها كل المقدسات :

الصخرة المشرفة ، والمسجد الأقصى المبارك وحائط البراق ، وقد وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلى عام ١٩٦٧ م ، أما القدس الجديدة فتقع خارج السور القديم ، وتتميز بالعمران الحديث والأحياء الجديدة ، وهى التى سقطت فى أيدى اليهود عام ١٩٤٨ ، ومدينة القدس تقع على جبلين يرتفعان حوالى ثمانمائة متر فوق البحر ، وتتميز بصخورها البيضاء الداكنة وتربتها الحمراء ، وقد كللت هاماتها وغطت جنباتها حقول الزيتون وكروم العنب وسنابل القمح وأشجار اللوز والتين ، ويحدها واديان : واحد من الشرق والآخر من الجنوب إلى الجنوب الغربى .

وتعود أهمية القدس الدينية لدى المسلمين لأسباب عدة وردت فى القرآن الكريم والحديث الصحيح وهى :

١ ـ بيت المقدس أولى القبلتين وإلى ذلك تشير الآيات :
﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ من النّاس ما ولاَّهُم عن قِبْلتِهِم الَّتى كانوا عَلَيها قُل للّه المَشرق والْمَغْرب يَهْدِى مَن يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتقِيم * وَكَذَلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس وَيَكُون الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا

الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

[البقرة : ١٤٢ ، ١٤٣]

يقول ابن كثير فى تفسير الآية : «إن رسول اللّه (ﷺ) كان قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين ، فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فأمره اللّه بالتوجه إلى بيت المقدس العتيق» .

٢ - بيت المقدس هو ثانى البيتين : والمسجد الأقصى هو ثانى مسجد وضع على الأرض ، ففى الصحيحين عن أبى ذر (رضي الله عنه) قال : «سألت رسول اللّه (ﷺ) عن أول مسجد وضع على الأرض فقال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عامًا ، قلت : ثم أى ؟ قال : ثم حيث أدركتك الصلاة فصل ؛ فكلها مسجد» .

٣ ــ بيت المقدس هو المكان الذى أسرى برسول الله (ﷺ) إليه فقد ورد فى القرآن الكريم : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير ﴾ . [الإسراء : ١]

٤ ــ بيت المقدس هو ثالث الحرمين الشريفين : فقد ورد عن أبى سعيد الخدرى (رضي الله عنه) أن الرسول (ﷺ) قال : «لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا» .

٥ ــ بيت المقدس منطلق لمعراج النبى (ﷺ) وقد ورد ذلك فى سورة النجم حيث قال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِن هُوَ إِلا وَحْىٌ يُوحَى * علَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى *

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى * ﴾ .

[النجم : ١ـ ١٨]

٦ ـ بيت المقدس مقر الأنبياء : فقد ربطت الآيات القرآنية فى العديد من المواقع بين بيت المقدس وأنبياء اللّه : إبراهيم ويعقوب وموسى وإسحاق ويوسف وداود وسليمان وعيسى ومحمد (ﷺ) .

٧ ـ بيت المقدس أرض مباركة قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ . [الأنبياء : ٨١]

وقال أيضًا : ﴿ قَالُوا حرِّقُوه وانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُو بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُم الأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاه وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِين * ﴾ . [الأنبياء : ٦٨ ـ ٧١]

الآثار الدينية الإسلامية فى بيت المقدس :

يوجد فى مدينة بيت المقدس عدد كبير من أقدس الأماكن فى العالم ، ففيها الحرم القدسى الشريف الذى يضم المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة وحائط البراق وغيرهما ، وسوف نلقى بعض الضوء على كل معلم من هذه المعالم :

* **المسجد الأقصى :**

قبل أن يفتح المسلمون بيت المقدس فى خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان هذا المسجد مكانًا للعبادة والصلاة ، ولم يكن بناء قائمًا كما هو الآن ، وقد اعتاد المسلمون على تسمية المسجد القائم إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة المشرفة بالمسجد الأقصى ، والحقيقة أن المسجد الأقصى الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم يشمل الحرم القدسى بأجمعه . تم بناء المسجد الأقصى سنة ٨٦ هـ ٧٠٥ م ذلك فى عهد خلافة الوليد بن عبد الملك ، يبلغ طول المسجد ٨٠ مترًا وعرضه ٥٥ مترًا ، ويقع جنوبى

رقعة الحرم الشريف ، وكانت أبوابه مغطاة بصفائح الذهب والفضة ، وعندما جاء أبو جعفر المنصور من خلفاء بنى العباس سنة ١٤٩ هـ / ٧٧١ م خلع الذهب والفضة وحولهما إلى دنانير أنفقت على إصلاح المسجد .

وقد قام ولاة المسلمين على مر العصور بترميم المسجد وتجديده حتى يحافظ على رونقه ، وعندما احتل الصليبيون القدس سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م حولوا المسجد إلى كنيسة ، وجعلوا جانبًا منه لفرسان الهيكل ، وجانبًا آخر للذخيرة .

وبعد تحرير القدس على يد صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٧ م قام بإصلاح المسجد فأزال معالم النصرانية منه وجدَّد محرابه ، وغطى قبته بالفسيفساء ، وجاء بمنبر خشبى مرصع بالعاج والأبنوس من حلب ، وفى سنة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م حدث زلزال أثر فى تصدع المسجد ، وتولى المجلس الإسلامى الأعلى بفلسطين ترميمه .

وفى سنة ١٩٦٧م ، وبعد احتلال اليهود للقدس اعتدوا على حرمة المسجد الأقصى ، وتتمة لأطماعهم الوحشية قاموا بإحراقه فى آب أغسطس ١٩٦٩ م .

وكان المسجد يحوى مكتبة كبيرة شأنه شأن الجامع الأموى الكبير فى قرطبة والأزهر فى مصر والقيروان فى تونس ، وكان العلماء يقصدونه من الأندلس والمغرب ومصر والعراق وفارس للدراسة .

*** مسجد قبة الصخرة المشرفة :**

تم بناء هذا المسجد سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، الذى رصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ، مما يدل على أن بناءه كان على مستوى رفيع من الذوق والجمال ، ويتجلى فيه جمال الهندسة والذوق الإسلامى ، وصفه الرحالة المقدسى قائلاً : «لم أر فى الإسلام ولا سمعت فى الشرك بمثل هذه القبة ... ويدخل إلى المسجد من ثلاثة عشر موضعًا بعشرين بابًا :

باب النبى (ﷺ) أبواب محراب الهاشميين ، باب الوليد ، باب إبراهيم ، باب أم خالد ، باب داود ، وفيه من المشاهد محراب مريم وزكريا ، ويعقوب ، والخضر ، ومقام النبى وغيره .

* **جدار البراق الشريف :**

البراق دابة كان يركبها الأنبياء (عليهم السلام) ، وقد امتطى متنها الرسول (ﷺ) ليلة أسرى به ، ومن ذلك ما جاء فى الطبقات الكبرى : «إن الرسول (عليه السلام) حمل على البراق حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فانتهى البراق إلى موقفه الذى كان يقف فيه فربطه ، وكان مربط الأنبياء قبل رسول الله (ﷺ)» ، وجدار البراق هو جزء من الحرم القدسى الشريف ، والمعروف عند أهل القدس بالتواتر والتوارث أنه يوجد محل يسمى البراق ، وهو عند باب المسجد الأقصى المسمى باب المغاربة ، ويوجد مسجد يسمى : مسجد البراق ، ويلاصق أيضًا الجدار الغربى للمسجد الأقصى ، وهو قسم من الجدار الغربى

للحرم الشريف ، ويسميه اليهود «حائط المبكى» ويدعون أن لهم فيه حقًا تاريخيًا .

بالإضافة إلى الآثار السابقة ، يوجد فى القدس العديد من المساجد والمدارس والزوايا لها أهميتها الدينية والتاريخية ، ويبلغ عدد المدارس حوالى ٥٦ مدرسة ، والمساجد حوالى ٣٤ مسجدًا معظمها داخل المدينة القديمة التى تحوى الحرم الشريف ، كما توجد الزوايا الدينية التى كان يؤمها الحجاج من مختلف البلاد الإسلامية .



ثانيًا تاريخ القدس منذ زمن إبراهيم الخليل وحتى الفتح الإسلامى

يشير الباحثون والمؤرخون إلى أنه من الصعوبة بمكان تحديد النشأة الأولى لهذه المدينة ، وكل ما يؤكدون عليه هو أن هذه المدينة موغلة فى القدم وذات أصالة تمتد جذورها إلى الماضى البعيد ، فهى مرتبطة بالأنبياء منذ آدم (عليه السلام) .

ويؤكد هؤلاء أن اليبوسيين الكنعانيين كانوا أول من سكنوا أورشليم (أى القدس) ويرجع الخبراء تاريخ وجودهم فى المدينة إلى ما قبل خمسة آلاف عام ، حين نزح الكنعانيون من جزيرة العرب إلى فلسطين .. واليبوسيون رهط من بطون العرب الأوائل نشأوا فى الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية ، واستوطنوا أراضى فلسطين ، وأغلب الظن أن ذلك حدث حوالى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

والكنعانيون عرب من نجد ، وينتسبون إلى سام بن نوح ، وقد سميت مدينة القدس قديمًا «يبوس» نسبة إلى

اليبوسيين سكان القدس الأصليين ، وقد ذكرت «يبوس» فى التوراة باسم «أورشليم» كما وردت القدس أيضًا باسم «أورسالم» فى الكتابات الكنعانية التى ترجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد أى مدينة السلام .

والكنعانيون شعب عربى سامى من العرب البائدة هاجروا من شبه الجزيرة العربية أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، حيث عثر على أسماء مدن تحمل أسماء كنعانية ترجع إلى الأسرة الخامسة المصرية (٢٩٥٦ ق.م.) ، كما وردت كلمات كنعانية فى المدونات المصرية من عصر الأهرام .

ويتضح مما سبق أن الكنعانيين كانوا هم أول من سكن فلسطين قبل مجىء إبراهيم الخليل (عليه السلام) قادمًا من العراق .

* **عصر النبي إبراهيم (عليه السلام) :**

تشير أحدث التحقيقات الأثرية إلى أنه (عليه السلام) ظهر فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، أى قبل حوالى أربعة

آلاف عام ، وقد حدد المسعودى الفترة الممتدة بين عهد إبراهيم الخليل وعهد خروج موسى (عليهما السلام) من مصر بخمسمائة وسبع وستين سنة ، وقد ولد إبراهيم الخليل (ﷺ) فى العراق فى مدينة «أور» الكلدانية أو فى «كوثا» وهو حسبما جاء فى التوراة ينتمى إلى القبائل الأرامية ، وهى قبائل عربية نزحت من وطنها الأصلى فى شبه الجزيرة العربية واستقرت على ضفاف الفرات ، ثم نزلت بعض أسرها إلى العراق ، ومن جملتها أسرة سيدنا إبراهيم (ﷺ) .

ولما نادى سيدنا إبراهيم (ﷺ) بعقيدة التوحيد بين قومه الوثنيين لاقى كثيرًا من أنواع التعذيب والاضطهاد كمحاولتهم حرقه ، ولكن اللّه (سبحانه وتعالى) نجاه من النار وجعلها بردًا وسلامًا ، وهنا أوحى اللّه (سبحانه وتعالى) إليه بالهجرة إلى أرض فلسطين ، فخرج من العراق قاصدًا أرض فلسطين وهو ابن خمس وسبعين سنة مع سيدنا لوط ابن أخيه وزوجه السيدة سارة (عليهم السلام) .

وعلى إثر موجة من القحط والجفاف التى عمت البلاد ، انحدر سيدنا إبراهيم (عليه السلام) إلى مصر وأقام فيها مدة صارت له فيها ثروة ، ثم غادرها عائدًا إلى فلسطين وأقام فى حبرون وهى «الخليل» الآن .

ويعرف الكافة أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) هو أبو العرب فضلاً عن أنه أبو الأنبياء ، وكان حنيفًا مسلمًا ولم يكن يهوديًا أو نصرانيًا .

وأنجب سيدنا إبراهيم إسحاق ، ومن ولد إسحاق كان سيدنا يعقوب عليهم السلام ، وقد ولد يعقوب فى «أرام النهرين» أى منطقة حاران ثم نزحت إحدى القبائل التى يرجع نسب إبراهيم الخليل إليها إلى بابل ، وبذلك يتبين أن أرض فلسطين كانت أرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وآل إسحاق وآل يعقوب (عليهم السلام) ، حيث كانوا غرباء بين الكنعانيين سكانها الأصليين .

وكان ليعقوب (عليه السلام) اثنا عشر ولدًا ذكرت التوراة أسماءهم وهم : رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا وبساكر وزوبولون (من أم واحدة) . ويوسف وبنيامين (من أم) .

ودان ونفتالى (من أم) ، وجاد وأشير (من أم) ، وهؤلاء ولدوا جميعًا فى منطقة (حران) باعتراف التوراة ، حيث مكث أبوهم يعقوب المسمى إسرائيل عشرين سنة ، وهم من الآراميين (من أصل عربى) ، ولغتهم هى اللغة الأم التى كان يتكلم بها أهل الجزيرة العربية قبل أن تتفرق هذه اللغة إلى اللهجات المختلفة كالكنعانية والآرامية والعمورية وغيرها .

ومن المهم معرفة أن عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) هو غير عصر موسى (عليه السلام) واليهود ، ولا صلة بينهما ، فالتسميات هذه التى يتم التداول بها : (إسرائيل وقوم موسى ويهود) لكل منها دورها وعصرها الخاص ، ولكل عصر لغته وديانته ، فعصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) يرجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وكانت لغته الآرامية السامية الأصل ، وديانته التوحيد ، وعصر موسى يرجع إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ولغته المصرية فى البداية ثم الكنعانية ، أما الديانة فهى التوحيد الخالص فى البداية ، وديانة موسى (عليه السلام)

هى نفسها التى دعا إليها إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وقد دخلت مصر عن طريق هجرة يعقوب وأولاده إلى مصر قبل موسى (عليه السلام) بقرون ، أما عصر اليهود فيرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد ولغته الآرامية والعبرية ، أما الديانة فوحدانية (يهوه) الإله الخاص باليهود .

* **عصر موسى (عليه السلام) :**

يعين المؤرخون تاريخ خروج النبى موسى (عليه السلام) وأتباعه من مصر إلى أرض كنعان (فلسطين) حوالى ١٢٩٠ ق.م. يوم كان رمسيس الثانى على عرش مصر (١٣٠٠ - ١٢٣٣ ق.م) . كما يروى فى بعض كتب التاريخ .

ويعتبر اليهود أنفسهم شعب اللّه المختار ، ولهم إلههم الخاص بهم (يهوه) ، وقد استعاره كتبة التوراة ونسبوا صلته بموسى زورًا ، وهكذا كتبت أسفار العهد القديم باسم اللّه ، واللّه منها براء .

والقرآن يبين لنا أن النبى موسى (عليه السلام) قد أرسل إلى بنى إسرائيل كما أرسل غيره من النبيين ، فالفريق الذى اتبع موسى (عليه السلام) من بنى إسرائيل وآمن به ذكرهم الله بالرضا عليهم ، على عكس اليهود الذين كفروا بموسى بعد إيمانهم به وانحرفوا عن ديانته .

وقد خلف موسى فى قيادة قومه يوشع بن نون الذى تمكن من احتلال (أريحا) واستولى كذلك على (بيت إيل) ، و (عاى) و (لخيش) و (حبرون) و (دبير) إلا أن الفلسطينيين المتحصنين فى مدنهم الساحلية بين غزة ويافا صدوا تقدم يوشع وقومه ، وفى أواخر عصر يوشع وقبيل عصر القضاة هاجر الفلسطينيون إلى الساحل الجنوبى ومنه جاءت تسمية «فلسينا» (فلسطين) . وقد أوقع هؤلاء فى أواخر عصر القضاة ـ الذى دام حوالى قرن كامل ـ هزائم شديدة ببنى إسرائيل وأخضعوهم لحكمهم حتى ظهر شمشون .

أما القدس فقد حاصرها بنو إسرائيل بعد موت يوشع ابن نون ، واستولوا عليها ولكنهم لم يستطيعوا أن يسيطروا

على القسم المحصن المسمى «حصن صهيون» الذى تحصن فيه اليبوسيون وظل بأيديهم طيلة عصر القضاة وعهد الملك شاءول حتى تبوأ داود (عليه السلام) الحكم فاحتل الحصن ، وبذلك تكون مدينة القدس قد بقيت فى يد اليبوسيين حوالى ثلاثمائة عام بعد هجرة موسى (عليه السلام) (١٢٩٠ ق.م.) حتى استولى عليها النبى داود (عليه السلام) (١٠١٠ ق.م.) .

* **عصر داود (عليه السلام) :**

امتدت فترة حكم النبى داود (عليه السلام) بين (١٠١٠ / ٩٧١ ق.م) منها سبع سنوات فى (حبرون) والباقى فى (بيت المقدس) ، وقد سميت القدس فى عهده بمدينة داود ، وقد استطاع النبى داود (عليه السلام) أن يسيطر على أغلب المدن الفلسطينية بما فيها القدس .

* **عصر سليمان (عليه السلام) :**

وخلف داود ابنه سليمان (عليهما السلام) ، وكان حكمه بين (٩٧١ / ٩٣١ ق.م) وقد عرفت مملكة سليمان فى

عصره ازدهارًا ونموًّا ، وامتدت من تخوم مصر إلى الفرات ، ويستنتج مما سبق أن مدينة القدس كانت منذ خمسة آلاف عام مدينة عربية كنعانية ، وقد بقيت بيد سكانها الأصليين اليبوسيين أكثر من ألفى عام قبل عصر موسى (عليه السلام) ، كما بقيت بيد أهلها ثلاثمائة عام مع وجود أتباع موسى (عليه السلام) وذريتهم فى فلسطين ، ثم بعد دخول القدس فى عهد داود (عليه السلام) بقى السكان على أراضيهم وفى بيوتهم ؛ حيث كان بنو إسرائيل أقلية بين سكانها الأصليين .

قصة بناء الهيكل :

حتى عهد سيدنا سليمان (عليه السلام) لم يكن لليهود هيكل واحد كبير فقام (عليه السلام) بتشييد هيكل اختار له مكانًا فوق ربوة ، وكان هذا الهيكل يمتد بمثابة سياج مربع يضم عدة أجنحة ، ولم يكن بناؤه الرئيسى كبير الحجم ، فقد كان طوله نحو (١٢٤) قدمًا وعرضه نحو (٥٥) قدمًا وارتفاعه (٥٢) قدمًا واستغرق تشييده نحو سبع سنوات ليكون مقرًّا فخمًا لـ « يهوه » مدة أربعة قرون .

وكان بناء الهيكل من أهم الأحداث فى ملحمة اليهود ، وذلك لأن الهيكل لم يعد بيتًا ليهوه فحسب ، بل كان أيضًا مركزًا روحيًّا لليهود وعاصمة لملكهم وذكرى لهم ، وكان له شأن فى رفع الدين اليهودى من دين متعدد الآلهة إلى عقيدة واحدة .

وبعد موت سليمان (عليه السلام) دب الضعف فى دولة إسرائيل ، وصارت تنتقل من ضعف إلى ضعف ، وأغرى هذا الضعف الآشوريين فقاموا بغزو مملكتهم (يهوذا) بقيام ملكهم شديد البأس (نبوخذ نصر) الذى استولى على أورشليم وهدم هيكل سليمان (عليه السلام) ، وأباح البلاد والسكان لجنده فقتلوا ونهبوا ثم أخذ ملكهم وخمسين ألفًا من رجالهم أسرى إلى بابل فى العراق وهو ما عرف تاريخيًا باسم (السبى البابلى) .

ويعتبر دخول (قورش) ملك الفرس بابل غازيًا من أبرز الأحداث فى تاريخ اليهود ، إذ أباح لهم أن يعودوا من جديد إلى أورشليم بكامل حريتهم كما أعاد لهم ما كان باقيًا فى خزائن الدولة البابلية من الذهب والفضة

مما اغتصبها (نبوخذ نصر) من الهيكل ، وفى عهد خليفته (دارا) ملك الفرس سمح لليهود بإعادة بناء الهيكل من جديد فاستطاعوا بناءه بعد اثنتى عشر عامًا من عودتهم وهكذا عادت أورشليم مدينة يهودية شيئًا فشيئًا .

وظلت فلسطين تحت حكم الفرس حتى غزاها الإسكندر المقدونى عام ٣٣٢ وألحقها بدولة الإغريق حتى وصلت من بعدهم إلى أيدى الرومان فى أوائل القرن الأول الميلادى وجعلوا من أورشليم ولاية رومانية ، وظلت تتبع روما أولاً وبيزنطة بعدها وفى عهد الحكم الرومانى وقعت لبقايا اليهود بعض الأحداث الحاسمة فى تاريخهم ففى عام (٧٠ م) حاولوا استغلال المركز الدينى الممنوح لهم فى القدس بعد عودتهم من الأسر البابلى لأغراض قومية وسياسية ، فهاجم (تيطس) الرومانى بمساعدة سكان البلاد العرب واحتل القدس ودمر الهيكل وقتل معظم السكان اليهود ومن ظل منهم على قيد الحياة فرَّ إلى مصر وسورية والبلاد الأخرى ، واعتبر هذا الحدث نهاية التاريخ اليهودى بهدم الهيكل الثانى .

*** آراء علماء الآثار فى (هيكل سليمان) :**

يدعى اليهود أن المسجد الأقصى المبارك قائم على أنقاض الهيكل ، لذا فهم يستمرون فى أعمال الحفر تحت المسجد من وقت لآخر كما قاموا بإحراق المسجد سنة ١٩٦٩ ، وذلك بغية الوصول لهيكلهم المزعوم أو إلى جزء منه ويستميت اليهود لإيجاد أثر ولو صغير يدل على وجود تاريخى لهم ، والمعروف تاريخيًا أن (تيطس) الرومانى عندما هدم الهيكل لم يبق منه حجرًا واحدًا ، وما ادعاءات اليهود حوله الآن إلا خدعة لتجميع اليهود وحشدهم للوصول إلى المسجد الأقصى ، وكانت بعثة أمريكية للآثار جاءت للتنقيب والبحث عن هيكل سليمان سنة ١٩٦٩ أكدت فشلها فى العثور عليه .

ويعترف عالم الآثار الأمريكى (جيمس جاننج) بأن الغرض من هذه الحفريات سياسى وليس دينى ، وهناك علماء آثار كثيرون يؤكدون أن الهيكل دمر تمامًا واندثر كليًا ، ومن هؤلاء (كاثلين كينون) التى تقول أن : « الأدلة الأثرية والأدبية التى توفرت لدينا إلى الآن تؤكد

أن هيكل سليمان قد دمر تدميرًا تامًا واندثر بالإضافة إلى عدد كبير من المدن التى دمرت ولم تسكن من بعد .. » .
أما الآثارى مرجليوت فيقول : « إن الطابع العام للمدينة فى عهد سليمان قد اندثر كلية ، وإنه من غير الممكن الحصول على أى انطباع مميز ، فالمادة المستعملة بواسطته يبدو أنها بادت إلى النهاية ، ومن غير المحتمل أن يكون أى عمل أنجز بواسطة سليمان لا يزال باقيًا » .

*** القدس فى العصور المتتالية حتى الفتح الإسلامى :**

بعد موت سليمان (عليه السلام) (٩٣١ ق.م.) حصلت خلافات أدت إلى انقسام مملكته إلى دولتين هزيلتين : الأولى فى الشمال باسم مملكة إسرائيل وعاصمتها (السامرة) (٩٣١ / ٧٢٤ ق.م.) والأخرى فى الجنوب باسم يهوذا (٩٣١ / ٥٨٦ ق.م.) ، وعاصمتها (أورشليم) .

وقد تعرضت المملكتان لعدد من الغزوات والهجمات أدت إلى زوالهما آخر الأمر فى مدى زمنى قصير ، إذ قام شيشق (كما ورد اسمه فى التوراة) وهو ليبى أسس الأسرة ٢٢ فى فراعنة مصر بغزو مملكة يهوذا سنة ٩٢٠ق.م . وضرب المدن ونهب «أورشليم» .

وأما شلمنصر الثالث (٨٥٩ / ٨٢٤ ق.م.) فقد تمكن من إخضاع الآراميين والفينيقيين وإسرائيل ، وبعده جاء «تجلات بلاسر الثالث» الذى استولى على كل أراضى إسرائيل ، وسبى اليهود إلى آشور وأحل محلهم سكانًا من أقاليم أخرى .

هذا عن مملكة إسرائيل الشمالية ، أما مملكة يهوذا الجنوبية فقد كانت أكثر تعرضًا لغزوات الآشوريين ثم الكلدانيين الذين ولوا من بعدهم ، فقد كان لهم دور بارز فى القضاء على مملكة يهوذا ، فقد استولوا على جميع الدويلات فى سورية وفى فلسطين فى عهد نبوخذ نصر الثانى . وقد دام حكمه ثلاثًا وأربعين سنة (٦٠٥ / ٥٦٢ ق.م.) ففى عهده قام نبوخذ نصر بحملتين واسعتين على مملكة يهوذا ، وفتح (أورشليم) وسبى اليهود إلى بابل مرتين أولاهما سنة ٥٩٧ ق.م. على عهد ملكها (يهويا فيم) حيث حاصر أورشليم وفى أثناء

الحصار توفى (يهويا فيم) فخلفه ابنه (يهيوياكين) الـذى اضطر إلى الاستسلام ، وسبى نبوخذ كل يهـود أورشـليم وكل الرؤساء وجميع الأعيان والصناع .

أما السبى البابلى الثانى فقد كان أثنـاء حملـة حصلـت سنة ٥٨٦ ق.م ، وهذا السبى وقع على إثر نقض «صدقيا» لعهـده بالـولاء لنبوخـذ نصّـر . فأرسـل إلى أورشـليم مَنْ حاصـرها ، ولم يمـض وقت طويل حتى تفشت المجاعة والوبـاء فى المدينـة ؛ مما اضطـر اليهـود إلى أن يخضعـوا ويستسلموا ، فدخلت الجيوش البابلية المدينة ، وقد ترتب على السبى البابلى هـروب اليهـود مـن بنـى إسـرائيل إلى مصر والحجاز ، وبهذا لم يبق لإسـرائيل جماعـة ، ويشـار إلى أن جماعة منهـم هربـت إلى نيسـابور فـى شـرق إيـران واستقرت هناك .

وفى عام ٥٣٨ ق.م. قام قورش الفارسـى بفتـح بـلاد بابل واحتلال سورية وفلسطين ومن بينها أورشليم ، وقد سمح قورش لمن أراد من أسرى نبوخذ نصر بالرجـوع إلى

فلسطين ، فعاد فريق منهم كما أعاد إليهم ثرواتهم وأموالهم التى سباها البابليون منهم .

ثم تغلب اليونانيون على الفرس بزعامة الإسكندر المقدونى ٣٣٢ ق.م. الذى دحرهم ودخل فلسطين عَنوة ، وقد ظل نفوذهم على القدس وفلسطين حتى عام ٦٣ ق.م. حين دخلت تحت النفوذ الرومانى عندما غزا بومبى (بومبيوس) مدينة (أورشليم) ودمرها ، واستمرت القدس تحت سيطرة الرومان حتى الفتح الإسلامى لها .



ثالثا تاريخ مدينة القدس منذ الفتح الإسلامي

فتح المسلمون مدينة القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عام ١٥ هـ / ٦٣٦ م ، وكان ذلك بعد أن هزم المسلمون بقيادة عمرو بن العاص وأبي عبيدة بن الجراح الروم ، فقد التقى المسلمون بجيوش الروم بقيادة داهية من قوادهم اسمه «أرطبون» فحاصره عمرو حصارًا شديدًا حتى عرف مأخذه ، فحاربه وهزمه ، فانتهى في هزيمته إلى إيلياء (بيت المقدس) . فسار وراءه وحاصره ثم طلب أهل المدينة الصلح على أن يكون الموقع على الصلح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وهنا أرسل القائد العام لجيوش المسلمين أبو عبيدة بن الجراح برسالة إلى الخليفة فعزم عمر على السفر إلى الشام ليتسلم بنفسه مفاتيح المسجد الأقصى ، فسار من المدينة بعد أن ولى عليها على ابن أبي طالب (رضي الله عنه) .

ونزولاً على رغبة أهل (إيلياء) في الصلح وقع عمر ابن الخطاب عهدًا لهم أمنهم فيه على أرواحهم وممتلكاتهم

وكنائسهم وصلبانهم وسائر أحوالهم عرف فى التاريخ باسم «العهدة العمرية» لا يزال موجودًا إلى الآن ، بدأه : «بسم اللّه الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد اللّه عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم» ، وشهد عليها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبى سفيان .

وفى خلافة عبد الملك بن مروان من خلفاء بنى أمية بلغت (القدس) أوج عزها وتقدمها ، حيث بنى فيها «قبة الصخرة» و «المسجد الأقصى » ، إذ فى سنة ٧٢ هـ/ ٦٩١ م بنى «قبة الصخرة» المشرفة ، واستمرت القدس أكبر حواضر المسلمين وأجملها طوال عهد الدولة الأموية ، ثم أول عهد الدولة العباسية المعروف باسم «العصر العباسى الأول» .

ولكن مع بدء تحلل الدولة العباسية وضعفها ظهرت الدويلات الإسلامية فى الشرق والغرب ، وتنازعت فيما

بينها إذ ظهرت الدولة الطاهرية ، والدولة الصفادية والسامانية والإخشيدية والفاطمية وغيرها ...

والمهم هنا ما لحق بالقدس كنتيجة مباشرة لهذا الضعف والتحلل ، إذ تبودلت الحروب والصراعات ، ومن ثم تبدل النفوذ والسيادة عليها من دولة لأخرى ، كما كانت هذه الانقسامات فرصًا للروم لشن حملاتهم من جديد على العالم الإسلامى ، والتى بلغت ذروتها فى الحروب الصليبية .

* **سقوط القدس بأيدى الصليبيين ، ودور الناصر صلاح الدين الأيوبى :**

تمثل الحروب الصليبية واحدة من جولات الصراع بين الإسلام وأوربا ، أو بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى ، وقد بلغ عدد الغزوات التى شنها الصليبيون حوالى سبع غزوات ، قدر لهم فى بعضها الانتصار ، كما نجحوا فى انتزاع عدد من إمارات الشام الإسلامية وفرض سيادتهم عليها ، غير أن ذلك لم يدم أكثر من قرنين من عمر الزمان .

بدأ حصار القدس سنة ٤٩٢ هـ / ٧ حزيران (يونيو) ١٠٩٩ م ، واستمر الحصار أكثر من أربعين يومًا ، وقد حاول الفاطميون عبثًا التوصل إلى تفاهم مع الصليبيين حول سورية والقدس ، إلا أن الصليبيين رفضوا تلك العروض .

وفى الخامس عشر من تموز (يوليو) ١٠٩٩ م الموافق يوم الجمعة ٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ هاجم الفرنجة القدس ، وأعملوا السيف فى رجالها ونسائها وأطفالها ، وقال ابن الأثير : إن الفرنجة قتلوا فى أسبوع واحد فى المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا ، وبقيت القدس فى أيدى الصليبيين ثمانية وثمانين عامًا (٤٩٢ ـ ٥٨٣ هـ) ، وتجمع المصادر العلمية أن عدد اليهود الذين كانوا موجودين فى فلسطين ، حتى قبيل الحملة الصليبية الثالثة (التى سقطت فيها القدس) لم يكن سوى بضعة آلاف ، منتشرين فى كافة الأراضى التابعة للفرنجة ، وتؤكد أيضًا أنه بحلول عام ١١٧٠ م لم يكن فى فلسطين سوى

شخص واحد فى (اللد) ، وآخر فى (حيفا) ، واثنين فى (بيت لحم) ، وأربعة فى (القدس) ، وهذا ما يؤكده مؤرخو اليهود أنفسهم من أمثال (بتاحيا) الذى زار القدس خلال القرن الثانى عشر للميلاد ، ولم يجد فيها سوى يهودى واحد ، وكذلك (موسى بن لحمان جيروندى) الذى هبط إليها ولم يجد فيها سوى عائلتين يهوديتين .

ومع وقوع الكارثة واغتصاب الصليبيين مدن الشام وعلى رأسها (بيت المقدس) ، اشتدت الحاجة إلى تغيير الاتجاهات القائمة فى المجتمع ومواجهة التحديات الزاحفة ، وصار العالم الإسلامى أمام مصيرين لا ثالث لهما : فإما أن يغير أوضاعه تغييرًا جذريًّا من داخله عملاً بالآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] ، أو أن يستسلم للتحديات التى تنذر بتدميره .

وقد اختار العالم الإسلامى طريق المواجهة والتغيير التى مرت بمرحلتين ، الأولى : اتخذت طابعًا سياسيًّا قادتها حكومة السلاجقة ، ووجهتها جماعات الشافعية الأشاعرة ،

والمرحلة الثانية : بدأت فى ميدان القيم والمعتقدات وتطبيقاتها فى الداخل ، واستمرت هذه المرحلة حتى بلغت مداها فى إخراج أمة مسلمة معافاة إلى حد كبير ، استطاعت دحض المحتلين من الصليبيين وتحرير المقدسات .

وفى إطار محاولات الإصلاح هذه ، ظهر البطل المسلم صلاح الدين الأيوبى على مسرح الأحداث فى مصر ، وقيض الله له رجالاً من أمثال (الفضيل بن عياض) وغيره كثير ، ونجح فى حشد وتعبئة الجهود ، كما أعاد الأمة إلى الصواب .. إلى كتاب ربها وسنة نبيها ، وخاض بداية عددًا من المناوشات والحروب الصغيرة مع الفرنجة التى مهدت للمعركة الفاصلة ، ثم التقى الجيش المسلم بقيادة الناصر (صلاح الدين) بجيوش الفرنجة ، فى معركة فاصلة هى معركة (حطين) الشهيرة ، التى دارت رحاها فى فلسطين يوم السبت ٢٤ ربيع ثان ٥٨٣ هـ / ٤ يوليو ١١٨٧ م ، وخلال هذه المعركة كانت المدن تسقط فى أيدى المسلمين الواحدة تلو الأخرى ، حتى تم الفتح كالسيل الجارف فى أقل من شهر .

ولما رأى الصليبيون أن كفة المسلمين قد رجحت ، دب الذعر فى نفوسهم وأرسلوا رسلهم إلى (صلاح الدين) يعرضون عليه الاستسلام ، فرفض فى بادئ الأمر قائلاً : «لابد من دخول القدس كما دخلوها قبل ٨٨ عامًا» ، عندها ذعر سكان المدينة من الفرنجة ، واستولى عليهم الخوف وأرسلوا رسولهم يفاوض (صلاح الدين) ، واستشار (صلاح الدين) قواده ورجاله ، وبناءً على مشورتهم منح الصليبيين فرصة الخروج من الشام لقاء الجزية .

وهكذا دخل المسلمون القدس فاتحين محررين بقيادة (صلاح الدين) يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ / فبراير ١١٨٧ م فى ذكرى الإسراء والمعراج .

وقام (صلاح الدين) على الفور بعدة إصلاحات ، حيث عمَّر سور المدينة وحفر الخنادق ، وأنشأ عددًا من الأبراج الحربية ، وأزال عن مسجدى الأقصى وقبة الصخرة معالم الصليبية ، ونشر الأمن والاستقرار .

وبعد تحرير القدس على يده ، بقيت المدينة آمنة مطمئنة سواء في عهد من ولى الأسرة الأيوبية من حفدة (صلاح الدين) ، أو في عهد الدولة المملوكية ، وفي ظل الخلافة العثمانية ، بل وفي ظل حكم أسرة (محمد على) لمصر والشام بمقتضى معاهدة لندن ١٨٤٠ م ، حتى كانت المصيبة أو الكارثة التي أصابت المدينة وأصابت المسلمين ، مع بدايات تبلور المشروع الصهيوني الاستعماري .



رابعًا الهجمة الاستعمارية الصهيونية على فلسطين والقدس

الصهيونية حركة سياسية استعمارية ذات طابع دينى ، وهى مشتقة من لفظ (صهيون) ، وهو اسم رابية فى القدس القديمة كان قد أقام عليها اليبوسيون الكنعانيون العرب حصنًا قبل ظهور بنى إسرائيل بحوالى ألفى عام ، وقد أطلقت التسمية على منظمة إرهابية أسسها يهود روسيا بعد منتصف القرن الماضى ، وسمى أعضاؤها (عشاق صهيون) و (أحباء صهيون) ، وأخذت تعنى بفلسطين وصارت تسعى لاستعمارها كوطن قومى لليهود ، وما لبثت هذه المؤسسة أن أصبحت مؤسسة سياسية استعمارية دولية ذات جهاز تنظيمى ، اتخذ مؤسسوها من اضطهاد اليهود ذريعة لتنظيم حركة يهودية سياسية ، تستهدف تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين ، بحجة أن لليهود حقوقًا تاريخية فى فلسطين .

وبالتوازى مع ذلك ظهر على مسرح الأحداث شخص يهودى نمساوى يدعى (تيودور هيرتزل) ، يعمل صحفيًّا قام بتأليف كتاب نال شهرة واسعة فى أوساط اليهود ، وهو كتاب (الدولة اليهودية) نشره عام ١٨٩٧ باللغة الألمانية ، ثم تُرجم بعدها إلى معظم اللغات الأوروبية ، وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب فإنه أصبح دستورًا للحركة الصهيونية ، وكان أخطر ما جاء فيه هو الدعوة لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين يضم يهود العالم ، والأكثر من ذلك أنه كان يشمل برنامج عمل واضحًا ومحددًا للحركة الصهيونية .

كان (هيرتزل) بحق أبًا للحركة الصهيونية ، فبالاعتماد على برنامج العمل الذى وضعه فى كتابه ، خطت الحركة الصهيونية أولى خطواتها نحو تأسيس الدولة الصهيونية فى فلسطين ، فعقدت المنظمة الصهيونية العالمية أول مؤتمراتها فى ذات العام الذى صدر فيه الكتاب (١٨٩٧) ، وانتخب المؤتمر (هيرتزل) رئيسًا له .

ومن المهم فى هذا السياق ، أن نشير إلى أن هذا الرجل نفسه اجتمع هو ومجموعة من زعماء الحركة الصهيونية بالسلطان العثمانى (عبد الحميد الثانى) ؛ طالبين إعطاءهم فلسطين لتأسيس الدولة اليهودية فيها ، لكنه رفض رفضًا قاطعًا قائلاً : «انصحوا (هيرتزل) ألا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع ، فإنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين .. فهى ليست ملك يمينى .. بل ملك الأمة الإسلامية .. فليحتفظ اليهود بملايينهم .. وإذا مزقت دولة الخلافة يومًا ، فإنهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن .. أما وأنا حى فإن عمل المبضع فى بدنى ، لأهون على أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة» .

وأصدر المؤتمر قرارات مهمة ، فقد اعتمد برنامجًا للحركة الصهيونية لتحقيق ما أسموه «استعادة أرض مملكة إسرائيل» بحدودها التاريخية ، وتنمية حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والتوطن فيها بطريقة عملية منظمة ، وإيقاظ الوعى القومى بين يهود العالم ، والسعى لدى

الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهدافهم ، وتنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية ، واعتماد صندوق لدعم الاستيطان اليهودى فى فلسطين ، يقوم على جمع التبرعات من يهود العالم .

فى هذه الأثناء كانت الدولة العثمانية تعيش أسوأ أيامها تحللاً وتفككًا حتى سميت (الرجل المريض) ، وكانت الدول الأوروبية وأبرزها إنجلترا وفرنسا قد انتزعت معظم الأقاليم التابعة لها فى مصر والجزائر وتونس والسودان .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى ، وقفت الدولة العثمانية (تركيا) إلى جانب ألمانيا ضد إنجلترا وفرنسا ، وفى أثناء الحرب جرت أشياء كثيرة ، كان لها تأثير مدمر على العرب والمسلمين ، إذ وقّع الإنجليز والفرنسيون والروس معاهدة سرية عرفت باسم «سايكس / بيكو» سنة ١٩١٦ ، يقسمون بمقتضاها أملاك الدولة العثمانية

فيما بينهم بعد انتهاء الحرب بانتصارهم ، ويقرون فيه باتفاقهم على إعطاء فلسطين لليهود لإنشاء دولتهم عليها .

كما أصدر وزير الخارجية البريطانى أثناء الحرب عام ١٩١٧ وعده المشئوم بإعطاء فلسطين لليهود لإنشاء دولتهم فيها ، وفى الوقت نفسه نشطت أفراد المنظمة الصهيونية فى أوروبا ، ووثقوا ارتباطاتهم بحكومات وسياسيى ومثقفى الدول الاستعمارية ، بل وجندوا عددًا كبيرًا منهم للعمل معهم ، كما انضم إليهم أكبر ملياردير يهودى إنجليزى فى ذلك الوقت وهو اللورد (روتشيلد) ، مما كان يعنى أن كل شىء أصبح متوافرًا وجاهزًا لبدء العمل .

وبالفعل انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا وتركيا هزيمة منكرة ، ووضعت الدول المنتصرة أيديها على ممتلكات الدولتين ، فاستولت إنجلترا على العراق وساحل الخليج العربى و (فلسطين) ، واستولت فرنسا على باقى

أجزاء الشام الأخرى ، ومن هنا راحت إنجلترا تنفذ وبكل دقة خطوات إنشاء الدولة اليهودية .

كان مشروع صك الانتداب على فلسطين ، الذى وضعته بريطانيا وعرضته على عصبة الأمم فى ٢٤ يوليو ١٩٢٠ من ٢٨ مادة ، منهم سبع مواد بالإضافة إلى المقدمة تنصب على مسألة الوطن القومى لليهود ، وقد ثبت فيما بعد أن (بنيامين كوهين) اليهودى الأمريكى هو الذى تولى إعداده لوزارة الخارجية البريطانية .

وهكذا راحت إنجلترا تمكن لليهود فى فلسطين ، فزادت أعداد المهاجرين منهم إلى فلسطين ، وكانوا قد بدءوا فى الهجرة منذ أواخر القرن الـ ١٩ ، كما ولوا اليهود معظم المناصب ، وسهلوا لهم شراء وتملك الأراضى الزراعية الخصبة ، وجعلوهم يهيمنون على شئون البلاد .

كانت هذه السياسة سببًا فى اندلاع ثورة الشعب الفلسطينى أعوام ١٩٢٠ و ١٩٣٦ ، وفى أعقاب كل ثورة كانت إنجلترا والدول الأوروبية تعمد إلى إرسال

لجنة للتحقيق ، تنتهى إلى الإعلان عن مسئولية اليهود عن أحداث الشغب ، وخطورة تزايد أعدادهم ، وتدعو إنجلترا لوقف هجرة اليهود إلى فلسطين ، ثم تصدر سلطات الانتداب قرارًا مؤقتًا بهدف تهدئة ثورة العرب الفلسطينيين مع استمرار الهجرة وتزايدها .

وعلى ذلك استمرت الأحوال حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ ، إذ تميزت هذه الفترة بدخول الولايات المتحدة الأمريكية كعامل جديد ، يدعم اليهود ويؤيدهم جنبًا إلى جنب مع بريطانيا ، وقد أضاف دخولها زخمًا جديدًا للحركة الصهيونية ، وزاد سوء موقف العرب والمسلمين الذين ظهروا كالأيتام على مائدة اللئام ، وفى الوقت ذاته ولدواع سياسية ـ ظهرت لاحقًا ـ غيَّر اليهود والإنجليز تكتيكاتهم ، حيث تحولت سياسة الصهيونية من التعاون مع الإنجليز ، إلى العداء معهم ومقاومتهم العنيفة ، لتهدئة مشاعر العرب ، وكذلك لإظهار الحركة الصهيونية على أنها حركة كفاح وطنى ، تقاتل ضد المحتل الإنجليزى

الغاصب فى لعبة سخيفة ومفضوحة ، ظهرت مع إعلان قيام الدولة .

ومع تزايد أعداد اليهود إلى حد خطير ، واحتدام المصادمات بين العرب والعصابات الصهيونية ، التى شكلوها لإفزاع العرب وقتالهم وإجبارهم على الفرار والهرب وترك أراضيهم لليهود ، عرضت القضية على هيئة الأمم المتحدة فى ٢٦ فبراير ١٩٤٧ التى أصدرت قرارها بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية وأخرى عربية على النحو التالى :

* **الدولة العربية :**

وتتألف من الجليل الغربى ، ومنطقة نابلس الجبلية ، والسهل الساحلى الممتد من أشدود فى الجنوب إلى الحدود المصرية .

* **الدولة اليهودية :**

وتتألف من الجليل الشرقى ، ومرج ابن عامر ، والقسم الأكبر من السهل الساحلى ، ومنطقة بئر سبع التى تضم

النقب ، وتوضع منطقة (القدس) وضواحيها تحت نظام الوصاية الدولية ، وتنال الدولتان استقلالهما بعد مرحلة انتقالية مدتها عامان ، تبدأ من أول سبتمبر ١٩٤٧ لتستمر بريطانيا خلالها في حكم فلسطين تحت إشراف هيئة الأمم ، ويتم قبول ١٥٠ ألف مهاجر في الدولة اليهودية المقترحة ، بمعدل خمسة آلاف مهاجر في كل شهر .

وعلى الرغم من أن الفلسطينيين والعرب رفضوا مشروع التقسيم رفضًا قاطعًا ، وعلى الرغم من أن إنجلترا كانت قد أعلنت أنها لن توافق على المشروع ما لم يقبله اليهود والعرب على السواء ، فإن المشروع طرح للتصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، ووافقت عليه ٣٢ دولة واعترضت عليه ١٣ دولة وامتنعت عشر دول عن التصويت .

وكان قرار هيئة الأمم المتحدة طعنة غادرة للعرب والمسلمين ، وعلى أثره تدفقت أعداد المجاهدين العرب

والمسلمين الذين سافروا لفلسطين للدفاع عنها ، واشتبك هؤلاء في معارك ضارية مع العصابات الصهيونية ، وبعد أن مكّنت إنجلترا لليهود في فلسطين ، وملّكتهم زمام الأمور فيها ، قررت ـ من جانبها وحدها ـ في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ إنهاء انتدابها على فلسطين ، على الرغم من أنها كانت قد حددت أول أغسطس ١٩٤٨ موعدًا لإنهاء انتدابها ، وأخذت القوات البريطانية تنسحب بطريقة تساعد اليهود على تثبيت أقدامهم في المدن الكبرى ، وفي القبض على زمام الأمور بالاستيلاء على المطارات والمرافق العسكرية الأخرى والمنشآت المهمة ، وفي أثناء جلاء القوات البريطانية عن فلسطين وقعت مجازر بشرية ارتكبتها العصابات الصهيونية المنظمة مثل (شتيرن) و(أراجون تسفاى) ، وأبرز هذه المجازر مجزرة قرية دير ياسين العربية ، التي وقعت على مرأى ومسمع من السلطات البريطانية التي لم تحرك ساكنًا لإنقاذ العرب ، وأدت هذه المجازر إلى فرار العرب إلى شرق الأردن

ومصر وسوريا ولبنان ، وهؤلاء هــم الذيـن يســمون الآن باسم اللاجئين ويبلغ عددهم الآن حوالى خمسة ملايين .

وفى ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ غادر المندوب السامى البريطانى ميناء حيفا ، معلنًا انتهاء الانتـداب البريطـانى ، وعلـى أثر مغادرتـه أعلـن (بـن جوريـون) قيــام دولـة إسرائيل ، واعترفت بها أمريكا بعد لحظات مــن قيامهـا ، وتلاها دول غرب أوربا والاتحاد السوفيتى .

كـان وقـوع نكبـة فلسـطين فـى عـام ١٩٤٨ طعنــة غادرة فى قلوب المســلمين والعـرب ، فقد اقتطعت أرض عزيزة على قلـب ونفس كل مسـلم ، لتعطـى هدية ثمينـة على طبق من ذهب ، لأحط وأخـس مخلوقـات اللّـه علـى الأرض ، فــى حــين شــرد ملايــين مــن أبنــاء الشــعب الفلسطينى ، ومما زاد الطعنــة ألمًا أن إسـرائيل لـم تكتـف بالأراضى التى أعطيت لها بموجب تقسـيم الأمـم المتحـدة فى عام ١٩٤٧ ، بل أخذت تعيـث فسـادًا وتقتيـلاً حتـى زادت رقعتها ، خصوصًـا بعد اندحار الجيوش العربية أمامها ،

فاستولت على القرى والأراضى الواقعة فى محيط مدينة القدس الغربية ، وراحت تتطلع ببصرها إلى القدس الشرقية وفى ٥ يونية ١٩٦٧ شنت إسرائيل حربًا عدوانية على أراضى أربع دول عربية بغتة هى مصر وفلسطين (تقسيم ١٩٤٧) وسوريا والأردن ، فاحتلت سيناء والجولان والضفة الغربيةِ لنهر الأردن ، وبالطبع وقبل ذلك كله القدس الشرقية ، التى كانت قد وضعت تحت وساطة الأمم المتحدة .

* وضع مدينة القدس بعد عدوان ١٩٦٧

وهكذا تحقق لإسرائيل ما لم تحلم به يومًا من الأيام من احتلال أراضى أربع دول عربية ، وفى القلب منها إحكام السيطرة والنفوذ على القدس ، مما يقترب بها من مشروع إسرائيل الكبرى من النيل للفرات الذى يحلمون به ، ومنذ احتلال القدس فى يونيو ١٩٦٧ ، راحت سلطات الاحتلال الصهيونى تتبع مجموعة من الإجراءات والسياسات الدقيقة بهدف تهويد المدينة المقدسة ، التى كان أبرزها هدم وإزالة المنازل والآثار الإسلامية :

١ ــ فمنذ اللحظة الأولى لاحتلال القدس كانت الجرافات الإسرائيلية تسوى حى المغاربة المحاذى للحائط الغربى ــ حائط البراق ــ بالأرض ، وتم هدمه تحت جنح الظلام ، وفى فجر يوم الإثنين ١١ يونيو قامت بهدم مسجد البراق ومسجد الشيخ ، ونقل سكان حى المغاربة إلى بيوت أخرى فى القدس الشرقية ، وكذلك فعلوا مع السكان العرب القريبين من الحى اليهودى إذ قاموا بطردهم جميعًا .

٢ ــ وفى ١٩٦٧/٦/٢٧ أصدرت سلطات الاحتلال ثلاثة قرارات استهدفت تهويد القدس ، منها قرار ضم القدس الشرقية قانونيًا للسيادة الإسرائيلية .

٣ ــ قامت بعزل القدس عن المدن والقرى العربية ، ومنع السكان العرب المسلمين من الوصول إليها إلا بتصاريح يمنحها الجيش الإسرائيلى .

٤ ــ أصدرت قوانين تجيز لها مصادرة أملاك وأراضى العرب فى القدس ، وأهمها القانون الذى صدر فى ١٩٥٠/٣/٣١ باسم [قانون أموال الغائبين] الذى يخول

لسلطة الاحتلال وضع يدها على جميع الأموال المنقولة والثابتة لأى عربى فلسطينى كان يقطن المناطق المحتلة وغادرها بعد ١٩٤٧/١١/٢٩ ، وبموجب هذا القانون وضعت إسرائيل يدها على أراضى كل اللاجئين ، الذين اضطروا للهرب من هجمات العصابات الإرهابية الإسرائيلية ، وراحت تصادر الأراضى المحيطة بالقدس الشرقية ففى يناير ١٩٦٨ صادرت ١٠٠٠ دونم فى حى الشيخ صراح ، وأقامت مستوطنات : رمات أشكول ، ومعاليه دافنة ، وواصلت عمليات المصادرة وأقامت مستوطنات رامات وتاليبوت الشرقية ، وججيلو ونيفى يعقوب ثم مستوطنة بسحام زيف ، وأخيرًا (حار حومه) ، وجبل أبو غنيم ، وتشكل هذه المستوطنات الآن حزامًا يحيط بالقدس الشرقية من كل جانب ، ويفصل المدينة الموحدة عن الضفة الغربية ، وتقطع أكثر من (٢٠٪) من أراضى الضفة تنفيذًا لمشروع القدس الكبرى .

وتواصل إسرائيل عمليات الحفر والتنقيب فى القدس الشرقية بدعوى الكشف عن الهيكل ، وهو الأمر الذى

يهدد المقدسات الإسلامية التى تواجه خطر اليهود المتطرفين ، كما يعانى الفلسطينيون من استفزازات هؤلاء المتطرفين داخل المسجد الأقصى (وقد أقرت لهم المحكمة العليا الإسرائيلية بذلك) ، كما اكتشفت عدة محاولات لنسف المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وأجرت إسرائيل فى ٢٦ يونيو ١٩٦٧ إحصاءً لسكان القدس الشرقية ، وعرضت عليهم الجنسية الإسرائيلية ، فلم يقبلها منهم سوى قليل جدًّا ، ولجأت إسرائيل إلى عدة وسائل للتضييق على الفلسطينيين من سكان المدينة بهدف تقليص عددهم ، من ذلك عدم منحهم تراخيص للبناء ، وهدم مبانيهم غير المرخص لها ، وسحب بطاقات هوياتهم بحجة إقامتهم خارج القدس أكثر من سبع سنوات ، وفرضت عليهم الضرائب الباهظة ، وتردد أن السياسة الإسرائيلية تستهدف عدم تجاوز السكان الفلسطينيين فى القدس الشرقية لـ (٢٢٪) من جملة السكان ، وقامت الحكومة الإسرائيلية فى أعقاب احتلال القدس الشرقية بحل مجلس البلدية الفلسطينى ، وحاولت إخضاع الأوقاف الإسلامية لإشرافها ، والتدخل فى برامج التعليم .

وقامت إسرائيل بتوسيع الحدود البلدية للمدينة الموحدة على مراحل متتابعة فى أعقاب الاحتلال ، بلغت مساحة الأراضى التى ضمتها ٧٢ ألف دونم ، تمتد من صور باهر جنوبًا إلى مطار قلندية شمالاً ، وفى مرحلة تالية قامت بتوسيع هذه الحدود ، ويجرى العمل المتواصل الآن لتنفيذ مشروع القدس الكبرى ، وكانت الطامة الكبرى متمثلة فى إقدام الصهاينة على حريق المسجد الأقصى يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ ؛ بهدف القضاء على هذا المكان الإسلامى المقدس ، وعلى مسجد قبة الصخرة المجاور ، والاستيلاء على الحرم القدسى بكامله ، وتشييد هيكل إسرائيلى كبير على أنقاضهما ، وكانت سلطات الاحتلال قد مهدت لهذا الحريق قبل وقوعه ، سواء بالتصريحات الصادرة عن رجال الأديان ، والتى تنم عن الأطماع الصهيونية فى منطقة الحرم القدسى الشريف ، أوبالإجراءات الهادفة إلى تحقيق ذلك .

والمهم فى الأمر أن الحريق كان متعمدًا ومدبرًا من قبل السلطات والهيئات الإسرائيلية ، حيث خططت له ونفذته

بإحكام ، ثم سارعت إلى نفى صلتها أو مسئوليتها عقب وقوع الحادث كما هى العادة دائمًا .

وأخيرًا ربطت إسرائيل مرافق القدس الشرقية مع مرافق القدس الغربية وقامت بتوحيدهما ، وفى ٣٠ يوليو ١٩٨٠ أصدر الكنيست قانونًا أساسيًّا باعتبار القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل .

وفى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ وبعد مفاوضات طويلة بدأها السيد (ياسر عرفات) مع العدو الصهيونى ، وقع اتفاق إعلان مبادئ ، ثم اتفاقية القاهرة بشأن قطاع غزة ومنطقة أريحا فى ٤ مايو ١٩٩٤ ، وأخيرًا عقدا الاتفاقية الانتقالية بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة المعروفة باتفاقية طابا فى ٢٨ سبتمبر ، والمهم أنه فى كل هذه الاتفاقات ، ونزولاً على رغبة اليهود ، تأجل البحث فى قضية القدس خمس سنوات ضمن مجموعة من القضايا التى أطلقوا عليها «قضايا الوضع النهائى» ، وأبرزها القدس واللاجئين والحدود والدولة المستقلة .

حاول الرئيس الأمريكى (بيل كلينتون) تحقيق نجاح مدوٍّ يختتم به حياته السياسية ، ويرضى به يهود الولايات المتحدة وخصوصًا يهود نيويورك ، فيرضون عنه وعن نائبه (ديفيد آل جور) المرشح لرئاسة الولايات المتحدة ، وزوجته السيدة (هيلارى) المرشحة فى انتخابات مجلس الشيوخ ، ومن ثم يقفون إلى جانبهم ويؤيدونهم ، فسعى لدى (إيهود باراك) رئيس الوزراء الإسرائيلى ، و(ياسر عرفات) رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ، ودعاهم للحضور لأمريكا للتفاوض بخصوص قضايا الوضع النهائى ، ومن بينها بالطبع القدس ، وعلى مدار جولتين تفاوضيتين استخدم (كلينتون) كل نفوذه وهيبته ، بل وصل الأمر إلى حد تهديد العرب والفلسطينيين للقبول بفكرة التنازل عن القدس ، أى أن تكون السيادة عليها لإسرائيل مع إعطاء الحق للعرب المسلمين والمسيحيين بزيارتها ، إلا أن (عرفات) رفض بشدة معلنًا بكل وضوح بأن القدس ليست ملكه ؛ ليتنازل عنها أو يفرط فيها ، لكنها ملك مليار مسلم فى العالم ، وأوضح أنه لا يوجد رئيس أو ملك على وجه الأرض

يستطيع أن يفعل ذلك ، وأضاف أنه لو فعل ذلك فسوف يقتلونه (إشارة إلى المسلمين) .

وهنا تفتقت العبقرية اليهودية والأمريكية عن اقتراحات سخيفة وغبية ، مثل أن تكون السيادة على القدس إلهية ، فى حين أن السيطرة الأمنية لإسرائيل ، ويرفع على المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة علم منظمة المؤتمر الإسلامى ، ووصل الحال إلى حد تقسيم السيادة فوق الأرض وتحت الأرض وفى السماء ، إلا أن كل هذه الاقتراحات رفضت رفضًا قاطعًا ، وهو الأمر الذى خيب ظن (كلينتون) و(باراك) ، إذ تصوروا أن مسألة القدس يمكن أن تمر كغيرها ، ولما وجد الصهاينة والأمريكان هذه الصلابة العربية والفلسطينية بإزاء موضوع القدس ، سعوا للضغط عليهم عسكريًّا للتسليم والقبول بما يقدمونه من مقترحات ، وفى هذا الإطار جاءت فكرة اقتحام السفاح شارون تحت حماية ثلاثة آلاف من جنوده المدججين بالسلاح لساحة الحرم القدسى الشريف بحجة الزيارة وهو الخنزير القذر ، إلا أن تطور الموقف العربى والفلسطينى بعد ذلك أثبت

خطأ الحسابات الإسرائيلية تمامًا ، فرغم ذلك ازداد الموقف العربى والفلسطينى صلابة وتمسكًا بالقدس ، بل إن ما حدث كشف النقاب عن مؤامرات كانت تحاك سرًّا للقدس ، وقد أيقظت الانتفاضة الأخيرة المسلمين من سباتهم العميق ووضعتهم أمام مسئولياتهم فى ضرورة حماية مقدساتهم الشريفة ، ومعاقبة أى مجرم يمكن أن يفرط فى ذرة من تراب القدس .



١ ـ إن الانتفاضة تكاد أن تكون أشد على إسرائيل من حرب رمضان ـ أكتوبر وذلك للآتى :

(ا) أن حرب رمضان كانت حربًا نظامية أى بين الجيوش النظامية للدولتين .

(ب) أن حرب رمضان كانت بعيدًا عن حدود الدولة الإسرائيلية .

(جـ) أن المعارك العسكرية الفعلية فى حرب رمضان لم تستمر أكثر من ستة عشر يومًا ، حيث بدأت فى السادس من أكتوبر وانتهت فى الثانى والعشرين منه .

وهذه العناصر الثلاثة هى التى يبنى عليها العدو اليهودى استراتيجيته العسكرية ويستطيع أن يتفوق فيها . والدليل على ذلك أنه وبالرغم من الزلزال الرهيب الذى هز إسرائيل من جذورها فى السادس من أكتوبر فإن

العدو اليهودى استطاع أن يستعيد توازنه ويملك زمام المبادأة ويشن معارك هجومية فى بعض المواقع على الجبهتين المصرية والسورية كما حدث فى الثغرة والجولان .

أما فى حالة الانتفاضة فالحال على العكس تمامًا من الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية . وذلك للآتى :

(ا) أن الانتفاضة حرب غير نظامية أى حرب جهادية يقف الجندى الإسرائيلى فيها عاجزًا لا يرى أمامه عدوًا ليضربه ويتوقع الهجوم عليه من حيث لا يدرى .

(ب) أن الانتفاضة تدور على الحدود المباشرة والملاصقة لدولة إسرائيل ، بل إنها طالت قلب إسرائيل بالسيارات المفخخة وثورة عرب إسرائيل دعمًا لإخوانهم .

(جـ) أن الانتفاضة قد استمرت حتى الآن ما يقرب من ثلاثة شهور وتبدأ فى الرابع وسوف تستمر إلى ما شاء اللّٰه .

ولذلك فإن وقع الانتفاضة على الكيان اليهودى يشبه الزلزال الذى يزلزل أركانه من جذورها ويصيب الخطط العسكرية اليهودية فى مقتل .

٢ ـ أثبتت الانتفاضة وبصورة حاسمة أن الصراع بين المسلمين واليهود صراع عقيدة ، والدليل على ذلك أن الفلسطينيين الذين لم يثوروا لأشياء كثيرة ضحوا بها فى عملية السلام ، قد ثاروا لتدنيس (إيرل شارون) ساحة المسجد الأقصى وانفجروا كالبركان .

٣ ـ أعادت الشعب الفلسطينى والشعوب الإسلامية إلى الطريق الصحيح لاستعادة المقدسات ، وهو طريق الجهاد فى سبيل الله والذى لن تعود إلا به .

٤ ـ كشفت لجميع الواهمين والمخدوعين من الحكام أو المحكومين الذين توهموا إمكانية التعايش فى سلام مع إسرائيل حقيقة اليهود الوحشية والغادرة والخسيسة فى القتل المتعمد للأطفال الأبرياء ، ونقض العهود وحرب التجويع والإذلال للشعب الفلسطينى .

٥ ـ أوقفت الهرولة نحو التطبيع مع إسرائيل وأعادت عقارب الساعة إلى الاتجاه الصحيح ، فعاد العرب إلى مقاطعة إسرائيل . وكانت الضربة القاصمة والتى هزت

الكيان اليهودى هو سحب مصر سفيرها من إسرائيل . وذلك لأن مصر بفضل الله هى ميزان الصراع العربى الإسرائيلى وبحركتها تتحرك الأمة العربية الإسلامية .

٦ ـ انهارت بالكامل جميع الحجج التى كان يرفعها دعاة التطبيع فى بلدنا الحبيب والتى كانت تُبنى دائمًا على وجود رغبة صادقة لليهود فى السلام . وثبت أن من ينادى بالتطبيع مع اليهود بعد الآن إما أن يكون مخدوعًا أو خائنًا .

٧ ـ أثبتت أن الشعب الفلسطينى قد تعلم درس الجهاد من حزب الله ، وأدرك أن هذا العدو المتغطرس لا يكسر أنفه ويمرغ رأسه فى التراب إلا الجهاد فى سبيل اللّه .

٨ ـ أثبتت استيعاب الشعب الفلسطينى لمعنى الشهادة وأن الفلسطينى أصبح يحب الموت ، كما يحب اليهودى الحياة . وهذا انقلاب خطير فى موازين القوة فى الصراع لا تنفع فى مواجهته أسلحة الدنيا كلها ولو اجتمعت .

٩ ــ فتحت الباب أمام جميع المسلمين على وجه الأرض للمشاركة فى الجهاد فى سبيل الله ، إما بالمال أو بالدعوة أو بالدعاء ، وأحيت فريضة الجهاد فى قلوبهم .

١٠ ــ أقامت الحجة على جميع حكام المسلمين بأنهم سوف يسألون يوم القيامة عما فعلوه لحماية هؤلاء الشهداء من الأطفال الأبرياء الذين أفضوا إلى بارئهم ، والعالم كله ينظر إليهم فى صمت وتجاهل مريبين .

١١ ــ أصابت العدو اليهودى فى مقتل ، وذلك لأنها نقلت الصراع معه من خارج أراضيه إلى الحدود المباشرة لدولته المزعومة .. بل إلى قلب هذه الدولة المغتصبة ، وهو ما يعيد إليه معنى الجيتو (انعزاله عن بقية البشر فى أماكن مغلقة يعيش فيها مع بنى جلدته) ، ومعنى الهولوكوست (الرعب الشديد والخوف القاتل من عدوه مما يدفعه إلى قتل نفسه خوفًا مما يمكن أن يفعله به) .

١٢ ــ أدت إلى أن تشعر جميع دول العالم بأن مصالح كل من يساند إسرائيل من الممكن أن تتعرض للدمار ، ما لم يلتزم بنصرة الحق أو التزام الحياد على الأقل .

والدليل على ذلك ما حدث للمدمرة الأمريكية (كول) التى تعرضت لهجوم مدمر على سواحل اليمن . كذلك بدء الشعوب المسلمة فى مقاطعة السلع الإسرائيلية والأمريكية والإنجليزية .

١٣ ـ أثبتت أن مصير المقدسات وأراضى المسلمين ، ليست بأيدى حكام الشرق ولا حكام الغرب ولا حتى بأيدى حكام المسلمين . ولكنها بفضل اللّه بأيدى الشعوب المسلمة . وأن أية اتفاقيات بين الحكام المسلمين واليهود لن تساوى الحبر الذى كتبت به ، ما لم تقبلها الشعوب المسلمة ، وتتفق مع الشرع والعدالة .

١٤ ـ أجبرت إسرائيل على أن تبتلع غرورها وغطرستها ، ويتمثل ذلك فى بعض الأحداث منها :

(أ) مع بداية الانتفاضة وانقطاع المفاوضات وضعت إسرائيل شرطًا للعودة إلى المفاوضات وهو التوقف الفورى والكامل للانتفاضة . ثم عادت وقبلت مجرد أن تهدأ الانتفاضة فقط .

(ب) عندما أسر حزب اللّه فى جنوب لبنان ثلاثة من الجنود الإسرائيلية خرج رئيس الوزراء الإسرائيلى (باراك) ينذر حزب اللّه بمهلة أربع ساعات فقط لإطلاق سراح الأسرى، وإلا سيدفع حزب اللّه الثمن مدمرًا . ومع صلابة حزب اللّه عاد (باراك) ليبتلع إنذاره ، واضطر لأن يطلب التفاوض من خلال بعض الدول الأوربية مع حزب اللّه ، من أجل مبادلة هؤلاء الجنود الأسرى مقابل عدد كبير من الأسرى اللبنانيين فى سجون إسرائيل .

(جـ) بعد حادث تفجير سيارة مشحونة بالمتفجرات فى الخضيرة فى شمال إسرائيل خرج (باراك) ليعلن أنه لن ينفعل ويرد ردًّا عشوائيًّا ، ولكنه سيأخذ الأمر بالحكمة والتعقل . وهذا أسلوب جديد فى الخطاب الإسرائيلى .

١٥ ـ بدأ الفلسطينيون فى الاستخدام المرشد للعنف والقوة مما أدى إلى نزيف دامٍ للدم الإسرائيلى ، وهو ما يثير الهلع والفزع فى قلوب اليهود ، حيث يسقط يوميًّا قتلى إسرائيليون ، وهو يمثل كارثة على إسرائيل .

وفى هذا المجال فإننا نوجه النصح لأبطال الانتفاضة الفلسطينية أن يحتفظوا بهذا المستوى من الاستخدام المُرشَّد للقوة والسلاح .

فهى انتفاضة سلاحها الأحجار مع الاستخدام المتفرق والعابر للسلاح فى عمليات فردية . وعليهم أن يتذكروا الآتى :

(ا) ألا يفقدوا هذا المستوى من القوة حتى لا تفقد الانتفاضة قوتها وتأثيرها .

(ب) ألا يصعدوا الصراع حتى يصبح صراعًا مسلحًا بالكامل ، لأن هذا يتفق مع إستراتيجية إسرائيل وهدفها العسكرى ، وهو أن تتحول الحرب إلى حرب نظامية تملك هى فيها مقومات التفوق والغلبة .

١٦ ـ أعادت المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين إلى المسار الحقيقى والفكر الحقيقى لمعنى المفاوضات بين أى طرفين والتى هى انعكاس حقيقى وصادق لمستوى القوة بينهما على أرض الواقع .

١٧ ـ وأخيرًا فإن من النتائج المباشرة لتلك الانتفاضة المباركة هذه الانتفاضة التى بدأت تعم العالم الإسلامى بأسره بما فيه العالم العربى . وذلك بعد طول شتات وفرقة وتمزق . وها هو العالم الإسلامى يبعث من جديد ليخوض صراعًا عادلاً وشرعيًا لاستعادة مقدسات المسلمين الأسيرة وأراضيهم المسلوبة وكرامتهم الضائعة ، ولينتزع لنفسه مكانًا على الأرض فى ذلك العالم الجديد يليق بوعد اللّه له فى كتابه الكريم : ﴿ كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَتَنْهَوْن عَنِ الْمُنكَر وَتُؤْمِنُونَ بِاللّه ﴾ . [آل عمران : ١١٠]



فهـــرس

المطبعة العربية الحديثة
٨ ، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة - ☎ ٦٨٢٣٧٩٢ - ٦٨٣٥٥٥٤